البابُ الرابعُ عشرَ

في فضلِ مَنْ عدل في الرعيةِ، وضبطَ الأمرَ على الحقيقةِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[1].

وقالَ رسول الله ﷺ: «عملُ يومٍ مِنْ إمامٍ عادلٍ أفضلُ مِنْ عملِ عابدٍ سبعين عاماً، ولا تُردُّ له دعوةٌ».

وقيل: يُقال للإمام العادل في قبره: أبشرْ فإنكَ رفيقُ محمدٍ ﷺ قال: وكانَ مِنْ عَدْلِ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوان الله عليه أنه يقسمُ رُمَّانَ السبيلِ، فلما قسمَ الرمانَ، وبقيَ واحدةٌ منها قسمَ الحباتِ بينهم على قدرِ أنصابهم.

قالَ بعضُ العلماءِ: وجدتُ في صِفةِ عمرَ بنِ عبدِالعزيزِ: أن الأرضَ تبكي عليه أربعينَ عاماً.

وقال أبو هريرة ﷺ: ثلاثٌ لا يُردُ دعاؤهم؛ الإمامُ العادلِ، والصائمُ حينَ يفطرُ، ودعوةُ المظلوم، فإنها تُرفَع فوقَ الغمامِ، وينظر الله تعالى إليها فيقولُ: وعزتي لأنصرنَّكِ، ولو بعدَ حينٍ.

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ يكونون في ظل العرشِ، يوم لا ظلَّ إلا ظلّه، إمامٌ عادلٌ، ومؤذنٌ حافظ على الأذانِ، وقارئٌ يقرأُ كلَّ يومٍ مئتَي آيةٍ.

(1) النساء: الآية (105).

وقالَ الأعمشُ سمعتُ يزيدَ بنَ أبي سفيانَ، يقولُ: دخلتُ على عمرَ بن عبدِالعزيزِ، في مرضِه الذي تُوفِّيَ فيه، فنحن نتذاكرُ عنده أصحابَ رسولِ اللّٰه ﷺ فأغفى إغفاءً فرأيناه وقد رَعَدَ رعدةً شديدةً، وعرقَ حتى بلَّ فُرُشَه، ثم بكى حتى علاه النحيبُ، ثمَّ سكتَ هنيهة، ثم ضحكَ قهقهةً، وإنَّ كلَّ ذلكَ في المنامِ، فلما انتبه سألناه عن ذلك؟ فقال: نعم إخواني؛ رأيتُ في منامي كأنَّ القيامةَ قد قامتْ، والخلقُ قد حشروا، وما رأيتم من رِعدتي كان من هَوْلِ المحشرِ، ورأيتُ الناسَ قد وقفوا وأنا فيهم بين يدي اللّٰه، وما كانَ من العرقِ فذلك من فزعِ الموقفِ، فبينا أنا كذلك، إذ نادى منادٍ: أين النبيّ الأميُّ؟ قال الأنبياء: كلنا أميون، فأينا تريدُ؟ قال: فأين النبيّ الهاشميُّ؟ فنادى رسولُ اللّٰه ﷺ، وقال: لبيك، لبيك، فحوسب حساباً يسيراً، ثم أُمِر به ذاتَ اليمينِ، ثم نادى: أين أبو بكر الصديق؟ فنظرتُ إلى شيخٍ خاضبٍ، فأجتذبَته الملائكةُ، فزَجَّتْ به في النور زجّاً، فاحتُبِس به هنيهةً، ثم أُمِر به ذاتَ اليمين، ثم نادى منادٍ: أين عمرُ بنُ الخطابِ؟ فنظرتُ إلى شيخٍ يعلوه السوادُ، فرأيت الملائكة قد اجتذبتْه، فزجّتْ به في النور زجاً، فاحتُبس هنيهةً، ثم أُمر به ذاتَ اليمين، ثم نادى منادٍ: أين عثمان بن عفان؟ فنظرتُ إلى شيخٍ طويلٍ كثيفِ اللحيةِ، فرأيت الملائكة قد اجتذبته فزجّت به في النور زجاً، ثم احتُبس به هنيهةً، ثم أُمر به ذاتَ اليمين، ثم نادى: أين علي بن أبي طالب؟ فرأيت رجلاً أصلعَ بطيناً اجتذبْته الملائكةُ فزجتْ به في النور زجاً، فحوسب حساباً يسيراً، ثم أُمِر به ذاتَ اليمين، ثم لا أدري بالخلفاءِ الذين منْ بعدِهم كانوا، فبينا كذلك، إذ نادى منادٍ: أين عمرُ بنُ عبدِالعزيز؟ فبكيتُ من ذلك بكائي ما رأيتم، فاجتذبتني الملائكةُ ثم زجّتني في النور زجاً حتى وقفت بين يدي

الله، فسألني عن الفتيل والقطمير، ومنْ أصغرَ من ذلك وأكبر، فخشيتُ على نفسي -والله- من الهَلَكَةِ، فالسَّكْتَةُ التي رأيتموها مني بين الضحك والبكاء من ذلك، ومنْ وقوفي بين يدي الله، ثم أردكتني رحمةُ ربي، فأُمِر بي نحوَ ذاتِ اليمينِ، فبينا أنا مارٌّ فدنوت من الجنة، إذا أنا بجيفةٍ ملقاةٍ بين الجنة والنار، فقلت ما هذه؟ قال لي بعضُ الملائكةِ: إنها تُكَلِّمُكَ، فكلَّمْتُها فقلت: من أنتِ؟ قال: أنا الحجاجُ بنُ يوسفَ، قدمتُ على ربٍ كريمٍ فتلني بكلِّ قِتلة، قتلتها قتلةً، فأنا ملقاةٌ بينَ الجنةِ والنارِ، أنتظرُ ما ينتظرُ الموحدون، فهذا ما رأيت في منامي.

وقال عبدُالله بن عمرو بن العاصِ: إنّ في الجنةَ قَصْراً، يقال له عَدْنٌ، حُولَه البروج والمروج، له خَمْسةُ آلافِ بابٍ، عند كل بابٍ خمسةُ آلافِ حيرة، لا يسكنها إلا نبيٌّ، أو صديقٌ، أو شهيدٌ، أو إمامٌ عادلٌ. وقال: إنما سُمّيَ المهديُّ مهدياً لأنه يَهدي الأمرَ الحقَّ، فيستخرجُ من التوراةِ والإنجيلِ والقرآن، فيحكم لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيلِ بإنجيلهم، ولأهل القرآن بقرآنهم، ويخرجُ من غارِ أنطاكيةَ وقد سبقت الحكاية: وسيقت فيه.